العدد 2414 - السنة الثامنة
الإثنين 5 جمادى الآخرة 1437 - الموافق 14 مارس 2016
Monday 14 March 2016 - No.2414 - 8th Year

إعداد : ياسر السيد

لقب بين قومه بالصادق الأمين قبل بعثته

محمد .. خير خلق الله ورسوله إلى العالمين

هو سيّدُ وَلَدِ آدَمَ، مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ، وَالحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِهِ، وَالمَاحِي الَّذِي يُمْحَى بِهِ الكُفْرُ، وَالعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ. ابْنُ الذَّبِيحِ الثَّانِي عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ (وَهُوَ شَيْبَةُ الحَمْدِ) ابْنِ هَاشِمٍ - القُرَشِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ المُؤَرِّخِينَ أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ الفِيلِ وَمَاتَ أَبُوهُ قَبْلَ وِلَادَتِهِ، وَاسْتُرْضِعَ لَهُ فِي بَنِي سَعْدٍ، فَأَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ، وَأَقَامَ عِنْدَهَا أَرْبَعَ سِنِينَ، وَشُقَّ عَنْ فُؤَادِهِ هُنَاكَ، فَأُرْجِعَتْهُ إِلَى أُمِّهِ بِمَكَّةَ، فَخَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى أَخْوَالِهِ بِالمَدِينَةِ فَتُوُفِّيَتْ وَهِيَ رَاجِعَةٌ بِالأَبْوَاءِ، وَلَهُ سِتُّ سِنِينَ، فَحَضَنَتْهُ مَوْلَاتُهُ الَّتِي وَرِثَهَا عَنْ أَبِيهِ، وَهِيَ أُمُّ أَيْمَنَ، وَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ المُطَّلِبِ سَنَتَيْنِ ثُمَّ أَوْصَى بِهِ إِلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَكَفَلَهُ وَأَحَاطَهُ أَتَمَّ إِحَاطَةٍ، وَخَرَجَ بِهِ إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَةٍ وَهُوَ ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَأَى آيَاتٍ عَجِيبَةً مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِثْلُ: تَظَلُّلِ الغَمَامَةِ لَهُ، وَمَيْلِ الشَّجَرَةِ بِظِلِّهَا إِلَيْهِ، وَوَصِيَّةِ بَحِيرَا الرَّاهِبِ عَمَّهُ أَنْ يَرْجِعَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ يَهُودَ، ثُمَّ خَرَجَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَةٍ لِخَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَعَ غُلَامِهَا مَيْسَرَةَ، فَرَأَى مِنْ شَأْنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَهَرَهُ، فَرَجَعَ فَأَخْبَرَ سَيِّدَتَهُ خَدِيجَةَ، فَرَغِبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرَفُ بَيْنَ قَوْمِهِ بِالأَمِينِ وَالصَّادِقِ وَقَدْ حَمَاهُ اللهُ وَطَهَّرَهُ مِنْ أَرْجَاسِ الجَاهِلِيَّةِ.

ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ حَتَّى بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَجَاءَهُ الوَحْيُ وَهُوَ هُنَاكَ.

قَالَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ! فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ:

لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي. فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا -وَاللهِ- مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا! إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ ابْنَ نَوْفَلٍ، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ:

يَا ابْنَ أَخِي ! مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ:

هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ !

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ: نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الوَحْيُ. قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ:

زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى [يَا أَيُّهَا المُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ] إِلَى قَوْلِهِ [وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ] فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ.

وَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ مِنْ هَجْرِ الأَوْثَانِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى إِفْرَادِ العِبَادَةِ لِلْمَلِكِ الدَّيَّانِ، فَأَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَآزَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَا النَّاسَ مَعَهُ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ عُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَأَسْلَمَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ.

وَاشْتَدَّ الأَذَى عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ حَتَّى كَانُوا يَضَعُونَ الصَّخْرَةَ العَظِيمَةَ عَلَى صَدْرِ أَحَدِهِمْ، وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا عَلِمَ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُعَذَّبُ اشْتَرَاهُ مِنْ مَوْلَاهُ وَأَعْتَقَهُ.

ثُمَّ أَذِنَ اللهُ لَهُمْ بِالهِجْرَةِ إِلَى بِلَادِ الحَبَشَةِ، فَهَاجَرَ بِدِينِهِ ثَمَانُونَ رَجُلًا وَامْرَأَةٌ مِنْهُمْ.

وَفَشَا الإِسْلَامُ حَتَّى أَسْلَمَ بَعْضُ الصَّنَادِيدِ كَحَمْزَةَ وَعُمَرَ، فَازْدَادَ أَذَى المُشْرِكِينَ لَهُمْ، وَتَعَاهَدُوا بَيْنَهُمْ عَلَى مُقَاطَعَةِ المُسْلِمِينَ وَمَنْ نَاصَرَهُمْ، وَحَصَرُوهُمْ فِي الشِّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ، حَتَّى سَعَى بَعْضُ العُقَلَاءِ لِنَقْضِ هَذَا العَهْدِ ، فَتَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ.

ثُمَّ تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ، وَبَعْدَهُ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَاشْتَدَّ الحُزْنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ عَلَّهُ يَجِدُ نَصِيرًا، فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا الأَذَى، فَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ فِي جِوَارِ المُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ .

ثُمَّ أُسْرِيَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى عَلَى البُرَاقِ، وَأَمَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَارْتَفَعَ إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى حَتَّى سَمِعَ صَرِيرَ الأَقْلَامِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَلَمَّا رَجَعَ أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا رَأَى فَكَذَّبُوهُ وَصَدَّقَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَسُمِّيَ بِالصِّدِّيقِ.

وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى القَبَائِلِ فِي المَوَاسِمِ، وَأَبُو لَهَبٍ - لَعَنَهُ اللهُ - يَقُولُ لِلنَّاسِ: لَا تَسْمَعُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، إِنَّهُ سَاحِرٌ، إِنَّهُ كَاهِنٌ ! فَتَتَحَامَاهُ القَبَائِلُ إِلَى أَنْ لَقِيَ وَفْدًا مِنَ الخَزْرَجِ جَاؤُوا مِنَ المَدِينَةِ لِلحَجِّ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا، وَعَادُوا إِلَى المَدِينَةِ يَدْعُونَ إِلَى الإِسْلَامِ حَتَّى فَشَا الإِسْلَامُ هُنَاكَ، ثُمَّ جَاؤُوهُ فِي العَامِ الَّذِي بَعْدَهُ، وَقَدْ زَادَ عَدَدُهُمْ فَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ العَقَبَةِ، فَأَرْسَلَ مَعَهُمْ مُصْعَبَ ابْنَ عُمَيْرٍ وَعَمْرَو بْنَ كُلْثُومٍ يُعَلِّمَانِهِمُ الإِسْلَامَ.

ثُمَّ جَاؤُوا فِي العَامِ الَّذِي بَعْدَهُ وَقَدْ زَادَ عَدَدُهُمْ، وَرَئِيسُهُمُ البَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَكَانُوا ثَلَاثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلًا وَامْرَأَةً، وَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، فَاخْتَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا.

ثُمَّ أَذِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ، فَخَرَجُوا حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ إِلَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فَهَمَّ المُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، وَاجْتَمَعُوا عِنْدَ بَابِهِ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ لَمْ يَرَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَتَرَكَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيُؤَدِّيَ الأَمَانَاتِ الَّتِي عِنْدَهُ، ثُمَّ يَلْحَقَ بِهِ.

وَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى دَارِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ جَهَّزَ رَاحِلَتَيْنِ لِلسَّفَرِ، فَأَعْطَاهُمَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُرَيْقِطٍ، عَلَى أَنْ يُوَافِيَهُمَا فِي غَارِ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى الغَارِ، وَأَعْمَى اللهُ المُشْرِكِينَ عَنْهُمَا، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَحْمِلُ إِلَيْهِمَا الطَّعَامَ، وَأَخُوهَا عَبْدُ اللهِ يَتَسَمَّعُ لَهُمَا الأَخْبَارَ وَيَنْقُلُهَا إِلَيْهِمَا، وَجَدَ المُشْرِكُونَ فِي طَلَبِهِمَا فَلَمْ يَقْفُوا لَهُمَا عَلَى أَثَرٍ، حَتَّى أَنَّهُمْ اجْتَازُوا بِالغَارِ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

[إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا] .

حَتَّى إِذَا خَفَّ الطَّلَبُ خَرَجَا، وَوَافَاهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ بِالرَّاحِلَتَيْنِ فَرَكِبَاهَا، وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ خَادِمَهُ ابْنَ فُهَيْرَةَ، وَابْنُ أُرَيْقِطٍ أَمَامَهُمَا عَلَى رَاحِلَتِهِ يَدُلُّهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ، فَلَحِقَهُمَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، سَيِّدُ مُدْلِجٍ عَلَى فَرَسِهِ، يُرِيدُ جَائِزَةَ الظَّفَرِ بِهِمَا، وَهِيَ مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ، فَرَآهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ قَدْ رَهِقَنَا، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَاخَتْ قَدَمَا فَرَسِهِ فِي الأَرْضِ، فَقَالَ: رُمِيتُ ! إِنَّمَا أَصَابَنِي بِدُعَائِكُمَا، فَادْعُوا اللهَ لِي أَنْ يُخْرِجَ فَرَسِي، وَلَكُمَا عَلَيَّ أَنْ أَرُدَّ النَّاسَ عَنْكُمَا، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَتْ رِجْلَا فَرَسِهِ، وَأَسْلَمَ عَامَ الفَتْحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وَمَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعِيَّةِ فَقَالَ عِنْدَهَا، وَحَلَبَ شَاةً عَجْفَاءَ عِنْدَهَا، فَكَانَتْ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي يَوْمِ الإِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ نُبُوَّتِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ ضُحًى، فَخَرَجَ الأَنْصَارُ إِلَيْهِ بِسِلَاحِهِمْ، وَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ، وَنَزَلَ بِقُبَاءٍ، وَأَسَّسَ مَسْجِدَهَا.

وَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

((أَيُّهَا النَّاسُ ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ)).

ثُمَّ ارْتَحَلَ فَأَدْرَكَتْهُ صَلَاةُ الجُمُعَةِ فِي وَادِي رَانُونَا، فَنَزَلَ وَصَلَّاهَا هُنَاكَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ مُتَّجِهًا إِلَى المَدِينَةِ، وَكُلَّمَا مَرَّ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ رَغِبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُمْ، وَهُوَ يَقُولُ:

((دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ)) حَتَّى جَاءَتْ نَاقَتُهُ إِلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَرَكَتْ، ثُمَّ قَامَتْ وَسَارَتْ قَلِيلًا ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى مَوْضِعِهَا الأَوَّلِ فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ وَبَرَكَتْ، فَنَزَلَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ أَبُو أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَخَذَ رَحْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ، وَاشْتَرَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْضِعَ مَسْجِدِهِ، وَبَنَاهُ، وَبَنَى لِأَهْلِهِ حُجَرًا فِي جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ.

وَآخَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَعَاهَدَ يَهُودَ؛ وَهُمْ بَنُو النَّضِيرِ وَبَنُو قَيْنُقَاعٍ وَبَنُو قُرَيْظَةَ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ كِتَابًا.

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمَدِينَةِ، وَتَعَاهَدَ الأَنْصَارُ عَلَى نُصْرَتِهِ مِنَ الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ رَمَتْهُمُ العَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، فَأَذِنَ اللهُ لَهُمْ بِالجِهَادِ، وَأَنْزَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى:

[أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ] .

ثُمَّ أَنْزَلَ:

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ».

فَكَانَتْ أَوَّلَ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((غَزْوَةُ الأَبْوَاءِ)) فِي صَفَرٍ مِنَ العَامِ الثَّانِي، وَلَمْ يَلْقَ حَرْبًا.

ثُمَّ بَعَثَ عَمَّهُ حَمْزَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِبًا لِلِقَاءِ أَبِي جَهْلٍ وَهُوَ عَلَى سِيفِ البَحْرِ، فَحَالَ بَيْنَهُمَا المَجْدِيُّ ابْنُ عَمْرٍو الجُهَنِيُّ، لِأَنَّهُ كَانَ مُوَادِعًا لِلفَرِيقَيْنِ.

ثُمَّ بَعَثَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُبَيْدَةَ بْنَ الحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي سِتِّينَ رَاكِبًا إِلَى مَاءٍ بِالحِجَازِ لِلِقَاءِ جَمْعٍ عَظِيمٍ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ إِلَّا أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَمَى بِسَهْمٍ، فَكَانَ أَوَّلَ سَهْمٍ رُمِيَ بِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((غَزْوَةَ بُوَاطٍ)) فِي رَبِيعٍ الآخِرِ، وَرَجَعَ لَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

ثُمَّ غَزَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((غَزْوَةَ العُشَيْرَةِ)) بِيَنْبُعَ فِي جُمَادَى الأُولَى، وَرَجَعَ لَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

وَبَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ أَغَارَ عَلَى سَرْحِ المَدِينَةِ فَخَرَجَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِ حَتَّى بَلَغَ نَاحِيَةَ بَدْرٍ، فَفَاتَهُ كُرْزٌ، وَسُمِّيَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ بِـ«بَدْرٍ الأُولَى».

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي نَفَرٍ إِلَى نَخْلَةَ لِيَرْصُدَ بِهَا قُرَيْشًا، فَهَاجَمُوا قَافِلَةً لَهُمْ، وَقَتَلُوا عَمْرَو بْنَ الحَضْرَمِيِّ وَأَسَرُوا عُثْمَانَ وَالحَكَمَ، وَفَرَّ رَابِعُهُمْ، وَقَدِمُوا بِالغَنِيمَةِ إِلَى المَدِينَةِ، فَلَامَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُ مَا أَرْسَلَهُمْ لِلقِتَالِ، فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ قَتَلَ وَأَسَرَ وَغَنِمَ وَخَمَّسَ.

وَفِي شَعْبَانَ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِتَحْوِيلِ القِبْلَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَفُرِضَ الصِّيَامُ وَزَكَاةُ الفِطْرِ.

وَفِي رَمَضَانَ بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عِيرًا لِقُرَيْشٍ مُقْبِلَةٌ مِنَ الشَّامِ صُحْبَةَ أَبِي سُفْيَانَ، فَنَدَبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ لِلخُرُوجِ إِلَيْهَا، وَخَرَجَ فِي ثَلَاثِ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا سُفْيَانَ، فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بْنَ عَمْرٍو الغِفَارِيَّ مُسْتَصْرِخًا لِقُرَيْشٍ، فَخَرَجُوا بِخُيَلَائِهِمْ وَفَخْرِهِمْ وَمَعَهُمْ بَعْضُ القَبَائِلِ، فِي قَرِيبٍ مِنْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى [بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ] فَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ فِي مُلَاقَاةِ المُشْرِكِينَ فَأَشَارُوا بِذَلِكَ، فَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَعَزَمَ عَلَى لِقَاءِ العَدُوِّ، وَنَزَلَ مَاءَ بَدْرٍ، فَعَلِمَ بِهِ أَبُو سُفْيَانَ فَعَدَلَ بِالعِيرِ إِلَى طَرِيقِ السَّاحِلِ وَنَجَا بِهَا، وَأَصَرَّ أَبُو جَهْلٍ عَلَى القِتَالِ، وَالتَقَى الجَيْشَانِ فِي السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأَنْزَلَ اللهُ نَصْرَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ، فَقَتَلُوا مِنَ المُشْرِكِينَ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ وَغَنِمُوا، وَعَادُوا إِلَى المَدِينَةِ.

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى غَزْوِ بَنِي سُلَيْمٍ بَعْدَ بَدْرٍ بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَرَجَعَ لَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

أمرالله بتطهير القلب وتزكيته وجعل ذلك من غايات رسالة الرسل أجمعين

أعمال القلوب وأهميتها في الإسلام

قال ابن القيم رحمه الله: في قوله تعالى: «وثيابك فطهر»: جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب هنا هو القلب، بل قال سبحانه عن الفاسدين والمبعدين عن رحمته وفضله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (المائدة: من الآية41)، فجعل عدم تطهير تلك القلوب من أهم الأسباب الموجبة للعذاب. بل لزمنا جميعا أن نتعرف على أعمال القلوب، ونعلم مقدار ما لدينا منها، وماذا ينقصنا، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ» رواه البخاري ومسلم. وقال الله سبحانه: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ» فقدم التزكية على التعليم من باب تقديم الغرض والغاية على الوسيلة التي تؤدي إليها، فالأصل هي: تزكية هذه القلوب التي هي موضع نظر الله من العبد كما في الحديث: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» رواه مسلم، وهذه القلوب هي محل الابتلاء والتمحيص ومحل أهم الأعمال وأعظمها.. والمراد بالأعمال القلبية هي تلك الأعمال التي يكون محلها القلب، وترتبط به، وأعظمها الإيمان بالله عز وجل، ولذلك نجد آيات كثيرة تتحدث